مستقبل روسيا حسب رؤية محليي جامعة القوات الجوية
الحربية في الولايات المتحدة الأميركية
للمؤلف : د. سيرغي غرينيابيف
صدر عن: مركز سكات للاستراتيجية والتقنية/ الجامعة القوات الجوية الامريكية
٢٠٠٨•

ترجمة: أ.م.د. رحيم
علي الفوادي•

أجرى مركز الاستراتيجية والتقنيات "سكات" التابع لجامعة القوات الجوية الحربية للولايات المتحدة الامريكية في العام ٢٠٠٩ وفي أطار مشروع الافاق الزرقاء سلسلة من البحوث لتحليل توجهات تطور القوى الاقتصادية والعسكرية لدول العالم البارزة، وكان الهدف الاساسي للبحث – اظهار نشوء التهديدات الجديدة للأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية و تشخيص الاجراءات الممكنة من جانب القيادة، وخاصة جامعة القوات الجوية الحربية في الولايات المتحدة الامريكية والموجهة لتخفيض ضررها المحتمل للحد الادنى عند تحققها.

ومن بين البلدان التي تم تقييم امكانياتها من قبل جامعة القوات الجوية الحربية في الولايات المتحدة الامريكية تشكل النتائج والاستنتاجات التي تم التوصل اليها بشان روسيا اهمية خاصة، حيث يشير خبراء جامعة القوات الجوية الحربية في الولايات المتحدة الامريكية الى انه اذا كانت عام المئة عام المنصرمة "قرناً أمريكياً"، فان المئة عام الحالية سوف تكون

• نظرا لأهمية الموضوع في ظل ما يشهده النظام الدولي من تغيرات سياسية في بنية النظام الدولي ارتئينا نشره.
• تدريسي في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد

"قرن أسيا"، وحيث ان روسيا جغرافيا تقع على حدود الغرب والشرق، وتدرج ضمن عمليات التحول العالمية المُنطلقة لإعادة بناء فضاء التأثير لمراكز القوى الجيوسياسية.

وبالحديث عن روسيا، فان الخبراء العسكريون الامريكيون يشيرون الى ان هذه البلاد وعلى امتداد تاريخها الطويل كانت ميداناً لتحولات عميقة ادت الى تغييرات جذرية لنظام الحياة، مع ان روسيا كانت كل مرة تنبعث من جديد وكانت تتقدم الى الامام في السباق الجيوسياسي لقادة الحضارة، وبالحديث عن افاق روسيا قبيل العام ٢٠٣٠، فيشير المؤلفون الى ان الاستخبارات الامريكية في الماضي القريب قد ارتكبت خطا فادحا، وذلك بإساءة تقييمها في بداية العام ٢٠٠٠ للقدرة الكامنة لروسيا على الانبعاث، اما اليوم فيتوجب على الولايات المتحدة الامريكية ان تأخذ بنظر الاعتبار بان هذه البلاد التي اختارت طريقها للتطور المبتعدة بنفس القدر عن الديمقراطية الغربية والتسلط الاسيوي، ستشكل من جديد خطراً جدياً على مصالح الولايات المتحدة الامريكية في العالم.

يشير خبراء جامعة القوات الجوية الحربية في الولايات المتحدة الامريكية بعد تقييمهم للتوجهات الجيوسياسية بان روسيا في مطلع العام ٢٠٣٠ ستنبعث بوصفها دولة إقليمية عظمى وجبارة متجاوزة العديد من الدول الغربية في وتائر تطوير الاقتصاد، وسيكون اساس الاقتصاد الروسي كما هو اليوم متشكلاً من ميادين الاستخراج، مع ان الميادين الاخرى التي تشكل القوة الاقتصادية سوف تتطور ايضاً. وبعد التخيط لسياستها الخارجية الخاصة، فان روسيا سوف تنطلق بالذات من الوضع الجيوسياسي الاقليمي الخاص والمتركز على تامين منفذ أمن للسوق العالمي لموارد الطاقة، وانطلاقاً من هذه الاولوية، فان مصالح البلاد الرئيسية سوف تتركز في أوربا الشرقية، وبلدان التحاد السوفيتي السابق، واسيا الوسطى (الحلقات المربعة).

وبالحديث عن السيناريوهات المحتملة لتطور الدولة الروسية قبيل العام ٢٠٣٠، فيلاحظ المؤلفون، ان السيناريو الاقل رجحانا – هو الدولة الفاشلة، فلدى روسيا توجد مصادر اقتصادية كبيرة للنفط والغاز والاحجار الكريمة والتي يمكن استخدامها كمصد ضامن

من التقلبات الاجتماعية الجدية والتغيرات الجيوسياسية الملازمة لها، وبهذه الطريقة، وحتى عند التعرض للفساد الاداري غير الملجوم والمشاكل الديموغرافية الكبيرة، فمن غير المحتمل ان ينهار الاقتصاد الروسي تماما قبيل العام ٢٠٣٠، ومن المفيد ان نلاحظ بان الملاحظة المهمة لمعدي هذا التقرير – هي فلاديمير بوتن الذي يملك قدرة فريدة على اختيار خلفائه وان يجذب لجانبه الراي العام في البلاد، وبفضل اجراءات الدعم الاجتماعي والتي مع قاعدة المواد الخام الضخمة فان ذلك يُمكن روسيا من ان تنئ بنفسها عن سيناريو الانحدار الى الدولة الفاشلة الذي تم التكهن بها سابقا.

اما احتمال ان تتشكل في روسيا دولة ديمقراطية فهذا اعلى بقليل من احتمالية الانحدار للدولة الفاشلة، فكل تاريخ الدولة الروسية الممتد لقرون يناقض غرس بذور الديمقراطية ، لذلك بالذات فان الحديث عن امكانية دمقرطة المجتمع الروسي وحتى في المستقبل متوسط الاجل ليس له معنى، وحتى وصول الرئيس ديميتري ميدفيدف الى السلطة لم يغير الوضع، اذ تتطلب الدمقرطة التامة نقلة ثقافية جذرية للسكان وتغيير ثوري للبنية السياسية لكامل المجتمع.

اما البنية الاكثر احتمالا للسلطة في روسيا – فهي شكل خاصة للقيادة "المتسلطة"، ويبدو النموذج الصيني للقيادة في هذا المجال نتيجة اكثر احتمالا لتطور الدولة في روسيا، حيث تحققت ادارة حكومية مركزية وسلطة سياسية ايضا، في حين سُلم المجال الاقتصادي للقطاع الخاص.

يشغل اعادة بناء البنى التحتية وقتا طويلاً، وللفترة من ٣–٥ سنوات القادمة، فسوف تتحقق نجاحات محدودة في تحديث البنية التحتية، وحتى هذه الاعمال سوف تتركز في قطاع واحد – قطاع المواد الخام فقط، ومن عشر سنوات يتوقع المحللون بداية الانبعاث لقطاعات البنية التحتية في الاقتصاد الروسي، وستكون هذه التغييرات بالنسبة لروسيا مهمة، مع انها بالمقارنة مع انجازات بلدان اخرى مثل الهند والصين، فسوف تكون متواضعة.

المتغيرات في الاقتصاد ستجد انعكاسها في تمويل قطاعات الدفاع، اما تخصيصات الدفاع العالية، والتي سوف تتمكن روسيا من السماح بها قبيل العام ٢٠٣٠، فسوف تضاعف القدرة العسكرية لروسيا، مع انها لن تكون على ايه حال كافية لتامين مشاريع القوى العالمية، وستسهم ايضا في المساعدة على تشكل روسيا كمركز اقليمي للقوة.

الفساد ووجود المعارضة الداخلية ونقص القدرة على امكانية التغيير الفعال في عالم سريع التغيير ستكون له نتائج سلبية، وقبيل منتصف القرن الحادي والعشرين، فان روسيا من جديد سوف تعاني من اخفاقات جدية، مع ان مثل هذه التوجهات قد تأخذ عشرات السنين، لكن هذا ايضا يخرج عن اطار البحث المُتخذ، وفي اطار البحث الذي يجرى، يلاحظ المؤلفون بان قبيل عام ٢٠٣٠ فان روسيا سوف تحرزها تماما او تقترب من احراز ذروة انبعاثها الجاري، ومن المهم ان قبيل هذا الوقت فان روسيا ستملك قوة هائلة، وبهذا الخصوص فستصطدم الولايات المتحدة الامريكية بمصاعب جدية، والتي ينبغي عليها اجتيازها.

الاستراتيجية الروسية لعام ٢٠٣٠

ارتبطت الحصة الكبيرة من قوة روسيا الجيوسياسية اثناء العقد الماضي بقوتها النووية ومقعدها الدائم في مجلس الامن التابع لمنظمة الامم المتحددة. ستمتلك روسيا قبيل العام ٢٠٣٠ قوة اقتصادية جوهرية، فضلاً عن المراقبة الحكومية لجزء كبير من الاقتصاد سيسمح بإحياء الجيش (وقبل كل شيء القوات العامة)، ووفقا لذلك، فان القدرة على استخدام القوة التقليدية في اقاليم التأثير–أوربا الشرقية، والقوقاز واسيا الوسطى، وبهذه الطريقة، ووفقا لراي مؤلفي البحث، وقبيل الموعد المبحوث، فان روسيا ستملك عناصر السلطة القومية الثلاثة، مما يسمح لها ان تتقوى كدولة اقليمية عظمى. ومع ذلك فان التطور التقني غير الكافي والميزانية العسكرية غير الكافية سيخفضان قدرتها على الاستخدام العالمي للقوى العسكرية.

وحتى لو اخذنا بنظر الاعتبار التقدم الكبير المحتمل في كافة مكونات الاصلاح العسكري، فمن الصعب ان نفترض ان روسيا وقبيل العام ٢٠٣٠ ستملك من جديد جيشا

مكافئا من حيث القوة للجيش السوفيتي، وفي افضل الاحوال، فان الجيش الروسي وقبيل هذا الموعد سيلعب دورا جوهريا بصفته قوة اقليمية، مع ان عدم القدرة على الاستخدام العالمي للقوة لا يخفض من قدرة روسيا على بناء نظام معاصر للدفاع الوطني، وبهذا الخصوص، فان الوضع الديموغرافي الصعب يمكن ان يعيق تنفيذ مشروع انشاء نظام قوي للدفاع.

وقبيل المدة المبحوثة، فليس لروسيا القدرة على تحقيق التكافؤ مع الولايات المتحدة الامريكية لسببين، الاول ان روسيا لا يمكن لها ان تسمح لنفسها بإجراء تخفيضات جوهرية في ميزانية الدفاع بصرف النظر عن النمو الاقتصادي الهائل، والثاني يتوجب على الروس اجراء اصلاحات للجيش الذي هو في حالة ليست جيدة في ضوء قلة التمويل المتكررة في السنوات العشرين الماضية.

وكما يشير خبراء القوات الجوية الحربية الامريكية، فان الروس لازالوا يملكون قدرات فريدة على الرد غير المتكافئ، وقبل كل شيء، فروسيا لديها كالسابق سلاح نووي جبار، وكذلك وسائل ولوج متينة الى الفضاء، وقبيل العام ٢٠٣٠، فان هذه الانظمة والوسائل ستلعب دوراً جوهرياً في تشكيل القدرة العسكرية لروسيا.

تُحدد القوات الجوية الحربية الطائرات بدون طيار الروسية، والتهكير، والمنفذ الحر الى الفضاء مستقبل القوة العسكرية الروسية، حيث يعتقد الخبراء بان روسيا وتأسيساً على خبرتها متعددة القرون "الانبعاث من الرماد" واستخدام الخداع العسكري، يمكنها ان تلقن جيش الولايات المتحدة الامريكية درسا، وذلك بتحقيقها لسلسلة من الاليات التي لا تضاهى في التصدي للقوة العسكرية الامريكية، ويلاحظ الخبراء بصورة خاصة بان الحالة الحالية المزرية للطيران الحربي الروسي (جميع مكوناته، الطائرات، والبنية التحتية الارضية، والكوادر البشرية)، وطموح السلطة الحالي لتطوير مجالات مثل الالكترونيات وتقنيات النانو يمكن ان يمنح روسيا فرصة لبناء مكونات القوى الجوية المؤسسة على ارضية الطائرات العسكرية بدون طيار، ويوجد في روسيا اليوم الكثير لتحقيق هذه الفكرة، اما في المستقبل

فان المكونات التي تنقصها، فيمكن تحقيقها بسهولة، حيث يخفض مثل هذا المشروع الانفاق الروسي لتامين البنية التحتية المعقدة وغالية الثمن لتامين اعمال الطيران التقليدي، فضلا عن ان متطلبات الكوادر البشرية للوحدات الجوية ستنخفض بصورة جوهرية، وهو مهم جدا لروسيا اخذين بنظر الاعتبار الوضع الديموغرافي الصعب.

ويشير المحللون ايضا الى ان تحليل الاحداث الاخيرة في استونيا وجورجيا تظهر مجالا اخرا من مصلحة القيادة العسكرية الروسية – هيمنتها في هذا المجال.

وكل فكرة من هذه الافكار تتطلب بلا شك طريقة جدية لتنفيذها والى الزمن، مما يجعلها تطبيقياً غير ممكنة في الظروف الروسية الحالية، مع ان المختصين العسكريين الامريكيين يشيرون بصورة خاصة الى – لا ينبغي نسيان ظاهرة القمر الصناعي الروسي، عندما كانت البلاد ممزقة نتيجة للحرب، فإنها استطاعت في اقصر الآجال من اللحاق بالولايات المتحدة الامريكية، وبهذه الطريقة، ووفقا لراي خبراء جامعة القوات الجوية الامريكية، فان روسيا عام ٢٠٣٠ هي كالسابق مصدر للموارد الى السوق العالمي، فضلا عن كونها مبتعدة بصورة متساوية عن الغرب او الشرق. تتركز القوة العسكرية الروسية في حول تامين دورها كمصدر للموارد – حماية مكامن وطرق نقل الموارد الطبيعية. ستمتلك البلاد سلطة اقليمية كبيرة من وجهة نظر القوة العسكرية الاعتيادية مع امكانيات عالمية محدودة بصورة جوهرية، حيث ستصبح القوات العسكرية الروسية قليلة من حيث العدد، لكنها قادرة على تنفيذ المهام الجديدة مع كادر مدرب وانظمة تسليح معقدة وتامة التقنية، حيث سيتملك العسكريون الروس القدرة على استخدام القوة العسكرية في منطقة النفوذ الروسي التقليدية – أوربا الشرقية، دول الاتحاد السوفيتي السابق، واسيا الوسطى، لكن القدرة على الاستخدام العالمي للقوة ستكون مفقودة بصورة جوهرية.

ولكي تُستأنف ولو جزئيا القدرة على استخدام القوة العسكرية لروسيا عالمياُ، فانها سوف تسعى الى الحفاظ على امكانية الوصول العالمية عبر اسلحتها النووية وتطوير تقنياتها الاستراتيجية لتامين المنفذ الحر الى المجال الفضائي، وستعمل روسيا ايضا بنشاط على تطوير

قوات ووسائل الحرب المعلوماتية، مما سيعطيها امكانية القيام بعمليات عسكرية واسعة في الفضاء المعلوماتي.

يتوقع خبراء جامعة القوات الحربية الجوية للولايات المتحدة الامريكية بان الطيران الحربي الروسي وقبيل العام ٢٠٣٠ سوف يسير على طريق استخدام الطائرات بدون طيار في كل مكان، اذ يسمح مستوى التقنيات الروسية بإنشاء طائرات بلا طيار، والتي سوف تسلح انواعها الحربية بالليزر او بسلاح الموجات القصيرة – وفي هذه الميادين بالذات هو تطور السلاح المعاصر لروسيا لازال يحتفظ بالتفوق، حيث يتوقع الخبراء بان الطيران التقليدي سيبقى في ميدان المعركة، لكن ليس لروسيا اليوم معنى في استثمار الموارد في انشاء الات الجيلين الخامس والسادس لكون نفقاتها والمهام المناطة بالجيش الروسي لا تعوض للاقتصاد الروسي المتنامي.

وقبيل العام ٢٠٣٠، فان ٧٠% من الطيران الروسي هو بلا طيار، واما الدور المتنامي للطائرات بدون طيار فسوف يتطلب اعادة التفكير بدور ومكان الوسائل الجوية للانتصار في ميدان المعركة، وبالدرجة الاساس ستوضع على قائمة الاعمال مهام جديدة لأنظمة للدفاع الجوي، وفي العام ٢٠٣٠ فان قدرة روسيا على العمل في الفضاء ستكون مماثلة لقدرة الولايات المتحدة الامريكية واعلى بصورة جوهرية عن تلك التي موجودة لدى الصين، اما في الجانب العسكري فسوف ينجز الروس برنامج معادي للهيمنة على الفضاء، لكونها ستمكنهم من تعويض النقص في القدرة الاستراتيجية لاستخدام القوة العسكرية على الارض وفي الجو، حيث يتوقع الخبراء، بان الروس سوف يعيدون الى الفضاء شبكات اتصالهم الخاصة واقمار الملاحة الاصطناعية، حيث ستنشى الشبكات بقدارت عالية على اساس قنوات الاتصال الليزرية بين الاقمار، مما يمكنهم من تامين متطلبات القوات المسلحة من جهة، ومن جهة اخرى سوف يحصلون على تمويل اضافي للمدخولات العسكرية من القيام بإنتاج بعضها وفقا لأسعار السوق.

وبالإضافة الى هذه التوجهات التقليدية، فان الروس سيطورون وبنشاط توجههم المرتبط بإنشاء الاقمار الصناعية المتعددة والدقيقة (بصورة خاصة، اخذين بنظر الاعتبار الاستثمارات الحالية في مجال تقنيات النانو)، حيث يعتبر غياب نقاط الاطلاق المناسبة للصواريخ الحاملة العابرة للقارات، حافزا على تطوير الاقمار الصناعية الصغيرة لروسيا.

وسوف تطلق الاقمار الدقيقة المنشئة بكميات كبيرة باستخدام اطقم الاطلاق الجوية والبحرية والارضية المتحركة، اما الاقمار الصناعية فسوف تزود بطيف واسع من المصطافين المعاصرين، مما يمكن من انشاء انظمة تجسس وادارة واتصالات معاصرة، فضلا عن ان هذه الاقمار الدقيقة سوف توفر امكانية المراقبة التامة للوضع في المجال القريب من الارض. ان فهم اهمية الاقمار الصغيرة والدقيقة وكذلك انشاء سلسلة انتاج واطلاق تامة سيلعب دورا هاما في تطوير استراتيجية العمليات الفضائية الروسية.

وسيصبح انشاء السلاح المضاد للأقمار الصناعية على اساسها توجها هاما لتطوير الاقمار الصناعية الصغيرة والدقيقة، مما يمكن روسيا من تحقيق الارجحية في مرحلة التهديد في الفضاء، فضلا عن ادراج عناصر القاعدة الارضية في نظام الدفاع المضاد للأقمار الصناعية – اغلب اطقم الدفاع الجوي الروسي تنتج مع امكانية الاستخدام كسلاح مضاد للأقمار الصناعية ولمحاربة القمار الصناعية ذات المدارات المنخفضة للعدو.

ستصبح قدرة روسا على اعادة العدد نتيجة للخسائر التي حصلت احد اهم مناحي القوى الفضائية الروسية، اذ اثبت الروس تاريخيا ودائما بانهم الاسرع في حل مسائل الفضاء، وممتلكين لكمية كبيرة من وسائل الاطلاق التقليدية (الارضية والجوية والبحرية)، فسيتمكن الروس في اجال قصيرة من انشاء وتطوير المجموعات المدارية عند الضرورة، والمتكونة من الاقمار الصناعية الدقيقة والصغيرة.

اما التوجه الثاني المهم لتطوير الوسائل غير المتكافئة فسيصبح الفضاء المعلوماتي، حيث تملك روسيا احتياطا ضخما من الخبراء عاليي التأهيل في مجال تقنيات الحاسوب، اما مقاومة انظمة ادارة القوات – فهو طريقة سهلة ورخيصة للحصول على الفعالية الاستراتيجية

باقل الاستثمارات وباقل المتطلبات من موارد العمل، وبتنفيذ بسيط نسبياً، حيث يعتقد الخبراء بان العسكريون الروس وقبيل العام ٢٠٣٠ سيضعون وسائل المقاومة المعلوماتية في عداد اقوى انظمة التسليح والماكنة العسكرية، حيث ان ادخال وسائل الحرب الالكترونية سيمكن روسيا من تعويض النقص في القدرة على الاستخدام العالمي للقوى العسكرية، وبهذه الطريقة، فان الخبراء الامريكان يضعون روسيا في المرتبة الثانية بعد الصين في مجال عسكرة الفضاء المعلوماتي.

تعد القدرة على بناء الدفاع المنسق احدى أرجحيات المدرسة العسكرية الروسية، وهذه الامكانية بالذات ستمكن روسيا من انشاء شيئا مماثلا في الفضاء المعلوماتي، فضلا عن ان مثل هذا النظام من الدفاع سيشمل ليس عناصر البنية التحتية العسكرية وادارة الدولة فحسب، بل وانظمة ادارة الاقتصاد في الميادين الحرجة – وقبل كل شيء في ميدان النفط والغاز.

روسيا عام ٢٠٣٠ – الخصم الخطير للولايات المتحدة الامريكية

مقدمين نتيجة ما ومعممين لاستنتاجات التي تم الحصول عليها، فان الخبراء الامريكان يقرون بان روسيا ستشكل خطرا جديا على الولايات المتحدة الامريكية، خاصة وان ذلك يتعلق بقدرة الروس على تشكيل الرد غير المتماثل على التهديدات الناشئة، اما الاحتياط العلمي والتقني اليوم، والذي سوف يكون متطوراً قبيل العام ٢٠٣٠ في سلسلة كاملة من الامور، فسيمكن الروس من الحصول على رد غير متماثل على الانظمة الامريكية غالية التكلفة، مما يجعل دفاعهم فعلاً جدا، مع انه لا يسمح لهم بالمشاريع التوسعية على المستوى العالمي.